ISSN: 2090 – 0449 Online
Universal Impact Factor (UIF), 2015.
Impact Factor for Arabic Scientific Journals, 2016.

التصوف وآثاره في اذربيجان
خلال الفترة (٤٣٤ ـ ٧٣٦هـ/ ١٠٤٢ ـ ١٣٣٦م)

د. حسن رضوان محمود حجي
دكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية
جامعة جنوب الوادي
جمهورية مصر العربية

مُلَخّصْ

يتناول هذا البحث أحد أهم أوجه مظاهر الحياة الاجتماعية في إقليم أذربيجان آلا وهو التصوف وآثاره خلال الفترة ٤٣٤-٧٣٦هـ/١٠٤٢-١٣٣٦م، وهذا البحث يعطى صورة متواضعة عن التصوف وأسباب انتشاره وعن أهم وأشهر أئمة التصوف في أذربيجان خلال فترة الدراسة المعنية؛ كما تطرقت أيضًا في هذا البحث لدراسة عادات المتصوفة في المجتمع الأذربيجاني والتي تمثلت في الرقص الذى كان يقوم به المتصوفة، والملابس التي اعتاد المتصوفة ارتدائها في أذربيجان كـ (الخرقة والفرجية والطاقية والجوخة)، ومأكلهم ومشربهم، وعن زواج المتصوفة في أذربيجان؛ كما تطرقت أيضًا للحديث عن آثار التصوف في أذربيجان، تلك الآثار التي كانت واضحة في المجتمع الأذربيجاني والتي تمثلت في إنشاء الخانقاوات والزوايا ومدى تعلق آهالي بعض المدن في أذربيجان بأضرحة أئمة التصوف.

بيانات الدراسة:

تاريخ استلام البحث:	١٤	أكتوبر	٢٠١٤
تاريخ قبول النشر:	١٢	يناير	٢٠١٥

كلمات مفتاحية:
تاريخ التصوف، المتصوفة والزهاد، المشرق الإسلامي، ملابس الصوفية، رقص الدراويش

الاستشهاد المرجعي بالمقال:
حسن رضوان محمود حجي. "التصوف وآثاره في اذربيجان خلال الفترة (٤٣٤ – ٧٣٦هـ/ ١٠٤٢ – ١٣٣٦م)".- دورية كان التاريخية.- العدد الثالث والثلاثون؛ سبتمبر ٢٠١٦. ص٧٧- ٨٣.

مُقَدِّمَةْ

إقليم أذربيجان[١] أحد أهم أقاليم بلاد فارس وهو إقليم كبير ومتسع يضم العديد من المدن التي ساهمت وبشكل مباشر في إثراء الحضارة الاسلامية بمختلف جوانبها الثقافية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية وهذه المدن هي: (أردبيل، تبريز، مراغة، مرند، أرمية، خوى، نخجوان، أشنه، أهر، سلماس، ميانه أو ميانج، أوجان، سراو، خلخال، خونج أو خونا). ويرجع السبب في اختيار ذلك الموضوع بالتحديد للدراسة إلى كثرة انتشار أئمة التصوف في أذربيجان، ولا سيما في الفترة المعنية خاصةً في مدينتي تبريز وأردبيل، وقد قمت بتقسيم تلك الدراسة إلى خمسة عناصر رئيسة وهى: (مفهوم التصوف، والتصوف وآثاره في أذربيجان في الفترة (٤٣٤-٧٣٦هـ/١٠٤٢-١٣٣٦م)، وأئمة التصوف في أذربيجان إبان فترة الدراسة، وعادات الصوفية بأذربيجان، وأهم آثار التصوف في أذربيجان)، وأعقبت ذلك بخاتمة تضمنت أهم ما توصلت إليه الدراسة من نتائج.

أولاً: مفهوم التصوف

إن التصوف أو العرفان في نظر المسلمين هو طريقة يمزج الدين فيها بالفلسفة، ويرى معتنقوها أنها هي وحدها الكفيلة بالوصول إلى الحق، وهذا الوصول الى الكمال والحق متوقف على السير والسلوك والتفكير والمشاهدة التي تؤدى بصاحبها إلى الوجد والحال والذوق وتوصل الإنسان في النهاية بطريقة رمزية إلى الله تعالى وسالكو هذه الطريقة يعرفون بالصوفية، أو العارفين، وأهل الكشف وهم يسمون أنفسهم بأهل الحق[٢]. وزعم الصوفية بأن كلمة "صوفي" مشتقة من الصفاء، وأن

الصوفي هو أحد خاصة أهل الله الذين طهر قلوبهم من كدورات هذه الدنيا، ويذهب بعضهم إلى اشتقاقها من "الصف" أحد الصفوف بمعنى الصوفي – من حيث حياته الروحية – في الصف الأول لاتصاله بالله، أو من "الصفة" إشارة الى أن اصل التصوف متصل بأهل الصفة وهو اسم أطلق على بعض فقراء للمسلمين في صدر الإسلام، كانوا ممن لا بيوت لهم فكانوا يأوون إلى صُفَة بناها الرسول صلى الله عليه وسلم خارج المسجد بالمدينة، ولكن هذه الاشتقاقات لا يجيزها في اللغة قياس، وهناك اشتقاق واحد لا يخالف القياس وهو نسبة الصوفي الى الصوفية.[٣]

ثانيًا: التصوف في أذربيجان

خلال الفترة (٤٣٤ ـ ٧٣٦هـ/ ١٠٤٢ ـ ١٣٣٦م)

تميزت الفترة المعنية بالبحث في أذربيجان بأن زامنت ثلاثة قرون متتالية، كانت مليئة بأسباب ظهور التصوف وانتشاره، فالقرنين الخامس والسادس الهجريين – الحادي والثاني عشر الميلادي زامنا سيطرة الأتراك السلاجقة[٤] على بلاد فارس بما فيها أذربيجان، واختصت تلك الفترة بانتشار التعصب والخرافات والانشغال بظواهر الشرع، والمنازعات الدينية بين الفرق الاسمية المختلفة ومعاداة العلماء بعضهم لبعض وغلبت الظواهر الجافة على الفلسفة والأبحاث العلمية الحرة، واستخدام العلم والمعرفة لغرض المجادلات الدينية وتحديد المسائل العلمية بالأحاسيس المذهبية[٥]. كما تميز القرن السابع الهجري ولا سيما النصف الثاني منه بأن وقعت تحت سيطرة المغول كافة بلاد المشرق الإسلامي تقريبًا من ولايات ما وراء النهر حتى سواحل بحر الروم وأدت الحال بها الى أسفل درك من مراحل التعاسة والانحطاط المادي والمعنوي[٦]، ويكفي لوصف حالة عامة الناس في تلك الفترة ما نقله الجويني وهو مؤرخ معاصر لأحداث الغزو المغولي على لسان أحد رجال بخاري قوله: "جاءوا واقتلعوا واحرقوا وسلبوا وذهبوا".[٧]

وكانت هذه الأحداث والأسباب في تلك القرون الثلاثة مدعاة لكثرة انتشار التصوف وأعداد المتصوفة في بلاد فارس واختص إقليم أذربيجان بأعداد من المتصوفة والزهاد و"العرفاء"[٨] لا حصر لها.

ثالثا: أئمة التصوف في أذربيجان

كثر أئمة التصوف في اذربيجان في فترة الدراسة المعنية، ولو أفردنا الحديث لجميع هؤلاء الأئمة لاحتجنا إلى عدة أبحاث وليس بحث واحدًا؛ ولذلك فسوف أكتفي بذكر أشهر هؤلاء الأئمة، فمن أشهر أئمة التصوف في أذربيجان في (القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي) الشيخ الزاهد باله خليل صوفيانى وهو من أهل قرية صوفيان التابعة لبلدة أرونق في مدينة تبريز، ويعتبر باله خليل أحد أهم المشايخ الذين وضعوا حجر تأسيس بناء المسجد الجامع في مدينة تبريز، في عهد الخليفة القائم بأمر الله العباسي، وذلك بأمر من" الأمير وهسوذان بن محمد"[٩]، ولقد انهار ذلك المسجد في سنة (٤٣٤هـ /١٠٤٢م) على أثر زلزال مدمر"[١٠].

ومن مشاهير الزهاد والعرفاء في أذربيجان في أواخر العصر السلجوقي وبداية العصر الأتابكي الزاهد بابا فرج التبريزى والملقب بتاج الأولياء والمحققين، وقد توفي بابا فرج عام(٥٦٨هـ/١١٧٢م) في عهد حكم الأتابك شمس الدين ايلدكز[١١]، وذكر حافظ حسين كربلائى ألقاب باب فرج المكتوبة على قبره في بلدة كجيل على هذا النحو: "هذا مشهد الشيخ الزاهد، العابد، الفاضل، الكامل، شيخ الطائفة، سلطان المحققين، ملك العارفين، بابا فرج بن بدل بن فرج التبريزى"[١٢]. ومن عظماء "أقطاب"[١٣] التصوف في أذربيجان الشيخ شمس الدين محمد بن على بن ملك داد، ودائمًا ما كان يتنقل من مدينة لأخرى ولذلك أطلق عليه لقب" الطائر"، فلقد ذهب إلى" قونية"[١٤] يوم السبت السادس والعشرون من جمادى الآخرة سنة (٦٤٢هـ/١٢٤٣م)، وبعد فترة تركها وذهب إلى دمشق يوم الخميس الواحد والعشرون من شوال سنة (٦٤٣هـ/١٢٤٤م) ثم عاد إلى قونية مرةً أخرى سنة (٦٤٤هـ/١٢٤٥م)، وتوفي سنة (٦٤٥هـ/١٢٤٦م)، ومن مؤلفاته كتابًا يُسمى بـ"المقالات" وقد جمع مريدوه ملحوظاته وسموها بذلك الاسم.[١٥]

ومن كبار الزهاد في أذربيجان الشيخ حسن بن عمر النخجوانى البلغارى التبريزى، والذى ولد في بلغارى في همذان سنة (٦٠٣هـ/١٢٠٦م)، وتوفي والده وهو في الخامسة عشر من عمره، ورحل عن موطنه مع أمه وأخيه إلى مدينة خوى، وتوفيت والدته وهو في الثالثة والعشرين من عمره ثم ابتلى بالمصائب المختلفة ووقع في أسر الأمير جرماغون المغولى أثناء هجوم المغول على همذان، وقضى عندهم سبع سنوات في صحراء القبجاق وصار موضع عنايتهم، وعندما سيطر المغول على كرجستان "بلاد الكرج"، ذهب الشيخ حسن إلى هناك واشترى كثيرًا من الأحمال وباعها في تبريز، وقد قضى الشيخ حسن تسعة أعوام في بلغاري، وثلاثة أعوام في بخاري، وسبعة وعشرون عامًا في كرمان، وعامًا في مدينة مراغة، وباقي عمره في مدينة تبريز، وتوفي بها وهو في التسعين من عمره، وكان موضع إجلال وتقدير الشيخ" علاء الدولة السمنانى"[١٦]، ويقع قبره في بلدة سرخاب بتبريز، وقد كتب على قبره: "هذه روضة الشيخ العالم المحقق قطب العالمين وارث الأنبياء والمرسلين لسان القدس، وترجمان الرحمن، وسر الله فى الأرضيين وغوث البرايا وخاتم المشايخ، صلاح الحق والملة والدين، الحسن بن عمر النخجوانى[١٧].

ومن أهم وأعظم مشايخ التصوف بأذربيجان الشيخ سعد الدين محمود أمين الدين عبد الكريم الشبسترى المعروف بـ"محمود الشبسترى"، وهو من أجلة عرفاء بلاد فارس، ولد سنة (٦٨٧هـ/ ١٢٨٨م) في عهد كيخاتو خان في قرية شبستر من توابع بلدة أرونق بتبريز وتوفي سنة (٧٢٠هـ/١٣٢١م) في المكان نفسه، وكان الشيخ محمود الشبسترى يقضي معظم أوقاته في السفر والترحال والدراسة والبحث، وكان يكاتب معظم علماء عصره وأهم مؤلفاته الصوفية مثنوى كلشن راز في أسرار التصوف وهو عباره عن إجابات لسبعة عشر سؤالاً لرجل كبير من أهل خراسان، وقد أجاب على كل سؤال في غاية الاختصار فلا صيغة شعرية، وله مثنوى آخر بعنوان "سعادة نامه" ويقع في ثلاثة آلاف بيتًا، منقسمة على ثمانية أبواب، وكل باب يشتمل على فصول وحكايات وأمثلة، وله منظومة أخرى وهى "مثنوى شاهدنامه"، وأيضًا له عدة رسائل في التصوف التي من جملتها "عين اليقين" و"مرآة المحققين"[١٨].

وإذا كان الحديث عن التصوف والمتصوفة في أذربيجان فلا يمكن تجاهل أو نسيان شيخ الصوفية الكبير "صفي الدين اسحاق الأردبيلى" والذى ينتسب إليه الصفويين[١٩]. تعمق صفي الدين في أسرار المحبة الإلهية والتصوف منذ صباه وتتلمذ على يد عدة مشايخ، ورحل إلى مدينة شيراز حيث اتصل بالشاعر سعدى الشيرازى، ونصحه الأمير عبد الله الفارسي أحد أعيان شيراز بالاتصال بالشيخ تاج الدين الجيلانى والمعروف بالشيخ زاهد الجيلانى فالتحق به صفي الدين، وهناك رواية تقول بأن الشيخ صفي الدين قد رأى في المنام أنه: "كان جالسًا على جبل قاف وقد تدلى من وسطه سيفًا عريضًا وعلى رأسه غطاء من جلد "السمور"[٢٠] ما لبث أن طلعت من الشمس فأضاء لها العالم، ففسر الشيخ تاج الدين هذا الحلم على أن السيف يرمز إلى حكم الولاية وأن الشمس نورها، وكان ذلك بمثابة الخطوة الأولى في مسيرة الدعوة السياسية لصالح الصفويين.

رابعًا: عادات الصوفية في أذربيجان

كان للمتصوفة في أذربيجان كما في غيره من مختلف المجتمعات الاسلامية عادات وطقوس خاصة ميزتهم عن غيرهم من فئات المجتمع الأخرى، ويمكن اجمال تلك العادات فيما يلى:

الرقص: (رقص الدراويش)

يعتبر الرقص أو ما يسمى بـ "رقص الدراويش" في أذربيجان أحد أهم عادات الصوفية، وهى تمثل لهم إحدى أهم وسائل التسلية، ورقص الدراويش هذا أساسه حركات دائرية تشكل دوائر متعددة وتعبر عن انطلاق الصوفي عندما تمتلئ روحه بحب الإله فحالة الذهول التي تؤهل النفس لولوج الأجواء السماوية يمكن الوصول إليها عن طريق الحركة الدوامية السريعة، فيدور الراقص على كعب رجله الأيسر ناشرًا ذراعه دافعًا برأسه إلى الخلف دون أن يخرج عن حلقة الراقصين، أو يتماهل في دورانه ضمن المجموعة، وعندما ينسجم كل درويش مع إيقاع الموسيقا السحرية يزداد دورانه حول نفسه أكثر فأكثر متغنيًا ببعض التعابير الدينية قائلاً "لا إله إلا الله"، و" اللهو"، و" يا عادل"، و" يا حي"، و" يا منتقم" وهكذا حتى يصل إلى حالة الغيبوبة الكاملة[٢١]، وأشهر مشايخ الصوفية بأذربيجان الذين كانوا يقومون بذلك الرقص هو الشيخ محمود ديوانا وكان حيًا في عهد السلطان غازان خان (٦٩٤-٧٠٣هـ/١٢٩٥- ١٣٠٤م).[٢٢]

ملابس الصوفية في أذربيجان:

تميز الصوفية في أذربيجان عن سائر أبناء مجتمعهم بلباس خاص، وأشهر تلك الملابس ما يلى:

الخرقة[٢٣]

إحدى أهم أزياء علماء التصوف ومشايخهم، وأشهر مَنْ لبسها في أذربيجان الشيخ الصوفي معين الدين محمد المعروف بالفقيه الزاهد (ت. ٥٩٢هـ/ ١١٩٥م)، وقد لبسها على يد الشيخ عبد الله التميمى[٢٤]؛ كذلك لبس الخرقة في أذربيجان كمال الدين النخجوانى الطبيب الصوفي كان حيًا سنة (٦٥٨هـ /١٢٥٩م).[٢٥] كما لبسها أيضًا فخر الدين أبو الفتوح الجعفرى التبريزى الشيخ المحقق (ت. ٦٨٠هـ/ ١٢٨١م) وتنسب خرقته إلى والده تاج الدين أبو الفتوح[٢٦]، ولبس الخرقة –أيضًا- في أذربيجان الخواجه صاين الدين يحيى (ت. ٦٨٣هـ/١٢٨٤م) وهو من شعراء ومتصوفي أذربيجان، ولقد ارتداها على يد والده وارتداها والده على يد الفقيه الزاهد[٢٧]، واشتهر بلبس الخرقة عز الدين أبو الحسن على بن محمد المعروف بالخليلي الفينى الشيخ العارف وهو الذى ألبس أولجايتو خان خرقته في أوجان سنة (٧٠٤هـ/ ١٣٠٤م).[٢٨]

الفرجية[٢٩]

من مشهوري ملابس الصوفية في أذربيجان وأشهر مَنْ لبسها بابا فرج التبريزى (ت. ٥٦٨هـ/ ١١٧٢م)، وإليه تنسب الخلعة الفرجية أو الغطاء الفرجي" [٣٠]، والتي جاء ذكرها في الاصطلاحات الصوفية.

الطاقية:

واشهر مَنْ لبس الطاقية من شيوخ الصوفية في أذربيجان الشيخ محمود ديوانا، وكان قد أعطاها إلى أحد الشباب وقال له وليتك السلطنة، وكان ذلك عهد السلطان غازان خان (٦٩٤-٧٠٣ هـ/ ١٢٩٥-١٣٠٤م)، وعندما سمع السلطان بذلك أحضر ذلك الشيخ ونشره نصفين[٣١]، وإن دل هذا على شيء

فإنما يدل على ما كانت تمثله الطاقية بالنسبة لمشايخ التصوف بأذربيجان من مكانة لدرجة أن أحدهم تخيل أنه بإمكانه أن يولى السلطنة لأحد الأشخاص بمجرد أن يلبسه طاقيته.

الجوخة:

ثوب قصير الكمين والبدن بغير بطانة من تحته ولا غشاء من فوقه، يتخذ من الصوف الثخين، ويرجح دوزى أن تكون هذه الكلمة مأخوذة من الكلمة التركية جوقة التي تشير إلى الجوخ[٣٢]، وأشهر من لبسها في أذربيجان المؤرخ العراقي ابن الفوطي وكان قد أخذها كهدية من فخر الدين أبو الفتح على بن الحسين المرندى متولى وزارة بلاد الروم مع "معين الدين البرواناه"[٣٣]، وارتداء ابن الفوطى للجوخة وإن لم يكن صوفيًا إلا أن ارتدائه إياها يعنى تواجدها في أذربيجان خلال الفترة التي نحن بصدد دراستها.

المشرب والمأكل:

كانت الألبان إحدى أهم المشروبات المفضلة عند بعض العلماء؛ وأبرز هؤلاء الفقيه الصوفي جلال الدين التبريزي (ت. ٦٤٢ هـ/ ١٢٤٤م) فقد كان دائمًا يفطر على ألبان البقرة التي كان يمتلكها.[٣٤] من خلال إحدى الرسائل التي بعث بها رشيد الدين إلى صفي الدين الأردبيلى نعرف بعضًا من ضروب الطعام التي كان يتناوله الشيخ وأتباعه من مشايخ الصوفية، وكان هذا الطعام منحةً من رشيد الدين وهو عبارة عن حنطة، وأغنام، وسمن، ودجاج، وأوز، وأرز، وعسل.[٣٥]

- الزواج:

يُعتبر الزواج من أهم الجوانب الاجتماعية التي حث عليها الإسلام ودعا الشباب إليه حتى يكون لهم حصنًا من الوقوع في الفواحش؛ وقد ورد في ذلك أحاديث نبوية كثيرة منها قوله صلى الله عليه وسلم: "يا معشر الشباب عليكم بالباءة فانه أغض للبصر وأحصن للفرج فمن لم يستطع منكم الباءة فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء"[٣٦]. ولم يكن أئمة التصوف في أذربيجان منغلقين علي أنفسهم اجتماعيا بل اندمجوا مع فئات مجتمعهم المختلفة بعملية الزواج، ولشدة تعلق بعض علماء الصوفية بمشايخهم فقد أقبلوا على مصاهرتهم وخير مثال على ذلك "صفي الدين الأردبيلي (ت. ٧٣٥هـ/ ١٣٣٥م)"[٣٧]، حيث تزوج من فاطمة ابنة شيخه تاج الدين الزاهد الجيلانى (ت.٧٠٠هـ/ ١٣٠٠م)،[٣٨] ويُذكر أن الشيخ صفي الدين كانت له زوجتان؛ فاطمة ابنة الشيخ زاهد، وابنة أخي سليمان الكلخورانى، وقد أنجب من زوجته الأولى ثلاثة أبناء هم محيى الدين المتوفي سنة (٧٢٤هـ/ ١٣٢٤م)، وصدر الدين (المولود في ٢٧ من أبريل سنة (٧٠٤هـ/١٣٠٥م والمتوفي سنة ٧٩٤هـ/١٣٩٣م)، وكان خليفة صفي الدين وابنه الثالث هو أبى سعيد، وقد ولدت زوجته الثانية ولدين هما علاء الدين وشرف الدين كما ولدت له بنتًا تزوجت الشيخ شمس الدين أحد ابناء الشيخ زاهد الجيلانى.[٣٩]

خامسًا: آثار التصوف في أذربيجان

من أهم آثار التصوف في أذربيجان أن جعل الاقليم مهدًا ودارًا لإقامة أجلة أقطاب التصوف في بلاد فارس، كما كان من أهم آثاره أيضًا كثرة إنشاء الخانقاوات والزوايا، فقل أن يجد الدارس لتاريخ التصوف في أذربيجان شيخًا أو قطبًا دون أن تكون له خانقاه خاصة به، ولعل ما شجع الصوفية في أذربيجان على الاكثار من بناء الخانقاوات إقدام بعض حكام أذربيجان على بناء تلك الخانقاوات، فيذكر أن خان أذربيجان غازان خان قد أقام تكيةً للدراويش[٤٠]، كما كانت الخانقاه أيضًا أحد أهم المؤسسات التي شملتها أبواب البر[٤١] التي أقامها غازان في عاصمة دولته الايلخانية مدينة تبريز، وخصص لها الفرش وأدوات المطبخ والجرايات الخاصة بالمشايخ والأئمة؛[٤٢] كذلك يذكر لغازان خان أنه أقام زاوية في أذربيجان وقد زارها الرحالة ابن بطوطة في عهد السلطان أبى سعيد بهادر خان وتحدث عما فيها من خدمات حيث يقدم الطعام للوارد والصادر[٤٣]، وتأتى أهمية الخانقاه في كونها مركزًا من المراكز الاجتماعية الهامة بحيث أصبح منصب شيخ الشيوخ بها في عداد المناصب الرسمية للدولة كما كان هناك عدد من أرباب الذوق يرتدون الخانقاوات من غير أن يكونوا صوفية رسميًا فكان أغلبهم أناسًا من أهل الحال سئموا القيل والقال في المدرسة ولم يجنوا فائدة من المحراب والمنبر وتضايقوا من محن الحياة فكانوا يقضون ساعة في صحبة الصوفية خاصة وكان الشعر والسماع والقول في الغزل في أغلب الخانقاوات تزيد في هياج محفل ذوى الألباب وثروتهم، وهكذا كان يرتاد الخانقاوات حينذاك جماعات من كل طبقات الناس من الأمراء والسلاطين حتى العوام والأناس السكنين في الطرقات.[٤٤]

ومن أشهر الخانقاوات في أذربيجان في عصر الأتابكة (٥٤١-٦٢٢هـ/ ١١٤٦-١٢٢٥م) خانقاه الشيخ بابا فرج بن بدل التبريزى المتوفي سنة (٥٦٨هـ/١١٧٢م)، ومن الخانقاوات التي وجدت في أذربيجان أيضًا خانقاه الشيخ بابا حسن المتوفي سنة (٦١٠هـ/١٢١٣م)، ويقال أنه كان في زمانه سبعون من الأولياء كانوا ملازمين لأعتابه، وكانت خانقاه تقع في قرية سرخاب[٤٥]. وتعتبر خانقاه الشيخ صفي الدين الأردبيلى أشهر الخانقاوات في أذربيجان على الإطلاق فقد كان معظم سكان مدينة أردبيل من الإقطاعيون والتجار والكبار، وغيرهم مريدين للشيخ صفي الدين.[٤٦]

أما عن الزوايا في أذربيجان، فلعل أشهر من ابتنى زوايا من ائمة الصوفية هو الشيخ المقرئ شهاب الدين أحمد بن محمد إبراهيم المراغى المتوفي سنة (٧١٧هـ/١٣١٧م)، فقد وصفه البرزالى وزاويته بقوله: "كانت فيه نخوة ومروءة وإغاثة للضعيف وقيام في الحق، وكان ابتنى مجلسًا في زاوية حسنة وفيها أماكن نزهة ومواضع طيبة وكان الناس يقصدونه ويقيمون عنده فيتلقاهم بانشراح وسعة صدر ومكارم وغيرها".[٤٧] كذلك تعتبر زاوية الشيخ عبد الله بن يونس الأرموى المتوفي سنة (٦٣١هـ/ ١٢٣٣م) بجبل قاسيون في دمشق من أشهر زوايا المشايخ الآذريين خارج أذربيجان أما عن الزوايا في أذربيجان فلعل أشهر من ابتنى زوايا من أئمة الصوفية هو الشيخ علاء الدين التبريزى (كان حيًا سنة ٦٧٠هـ/١٢٧١م) أحد أهم مشايخ الصوفية بأذربيجان الذين اهتموا بإقامة الزوايا وتعميرها فقد ذكره المؤرخ العراقي بابن الفوطى بقوله: "علاء الدين على بن الحسين بن عبد الله التبريزى الصوفي، من اولاد الفقراء والمشايخ، خرج من تبريز، وسكن بقرية النجاق من نواحى مراغة وعمر له بها زاوية للفقراء، وزرع بها بستانًا جميلاً، وهو شاب كيس له أخلاق مشكورة"[٤٨].

كذلك يعتبر الشيخ المقرئ شهاب الدين أحمد بن محمد إبراهيم المراغى المتوفي سنة (٧١٧هـ/١٣١٧م) من أشهر ائمة التصوف في أذربيجان الذين اهتموا بإقامة الزوايا فقد وصفه البرزالى وزاويته بقوله: "كانت فيه نخوة ومروءة وإغاثة للضعيف وقيام في الحق، وكان ابتنى مجلسًا في زاوية حسنة وفيها أماكن نزهة ومواضع طيبة وكان الناس يقصدونه ويقيمون عنده فيتلقاهم بانشراح وسعة صدر ومكارم وغيرها"[٤٩].

ومن أهم آثار التصوف في المجتمع الأذربيجاني هو اتخاذ بعض الأهالي لقبور أئمة الصوفية وأضرحتهم مزارات خاصة وأمكنة للتضرع والتوسل بها لقضاء الحاجات، فلقد اتخذ أهالي تبريز من قبر الشيخ شرف الدين عمر بن أبى البدر الفولادى وهومن كبار المتصوفة بأذربيجان إبان القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، وقد كان لنساء المدينة رغبة خاصة في زيارة قبره فكان يجتمعن كل يوم سبت على قبره ويقرأن أدعية معينة لدفع الأمراض فيقرأن الفاتحة والإخلاص على عدد من الأحجار، ويحضرن الأطعمة المختلفة ويوزعونها على الفقراء والحضور في ذلك المكان، وكانت وفاة الشيخ في سنة (٥٩٧هـ/ ١١٩٨م).[٥٠]

خاتمة

حاولت الدراسة أن تعطى صورة واضحة عن التصوف ومفهومه وعن مشاهير أمة التصوف في أذربيجان وعن عادات الصوفية في أذربيجان وعن آثار التصوف في الإقليم خلال الفترة **(٤٣٤-٧٣٦هـ/١٠٤٢-١٣٣٦م)**، وقد توصلت الدراسة إلى عدة نتائج هي:

- تعتبر فترة البحث من أخصب الفترات في تاريخ المشرق الإسلامي عامةً وأذربيجان خاصةً لازدهار التصوف؛ وذلك لما شهدته المنطقة من تحولات سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية.
- اشتهر عدد من أئمة التصوف في أذربيجان خلال فترة البحث المعنية كان أشهرهم من مدينة تبريز وأردبيل.
- كان للصوفية في أذربيجان عادات خاصة ميزتهم عن غيرهم من أبناء مجتمعهم في الملبس والمأكل والزواج.
- كان للتصوف آثارًا في أذربيجان كان أهمها انتشار الخانقاوات الزوايا في الإقليم، واتخاذ الأهالي لقبور بعض أئمة التصوف مزارات خاصة.

الهَوامِشُ:

(١) **أذربيجان**: ذكر ياقوت أن أذربيجان مسماه بأذرباذ بن ايران بن الأسود بن سام بن نوح عليه السلام، وقيل أذرباذ بن بيوراسف، وقيل بل أذر اسم النار بالفهلوية وبايجان معناه الحافظ أو الخازن فكأن معناه بيت النار أو خازن النار وهذا أشبه للحق وأحرى به لأن بيوت النار في هذه الناحية كانت كثيرة جدًا، وحد أذربيجان من برذعة مشرقًا إلى أرزنجان مغربًا، ويتصل حدها من جهة الشمال ببلاد الديلم، الجبل والطرم وهو إقليم واسع. (ياقوت: **معجم البلدان**، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، دار صادر – بيروت–١٩٧٣هـ/ ١٩٧٧م، ص١٢٨).

(٢) قاسم غني: **تاريخ التصوف في الإسلام**، ترجمة صادق نشأت، ١٩٧٢، ص١٣.

(٣) نيكلسون: **التصوف الإسلامي**، ترجمة أبو العلا عفيفي، الإسكندرية، ١٩٤٦م، ص٦٦.

(٤) قاسم غني: المرجع السابق، ص٦٥٥.

(٥) **الأتراك السلاجقة**: مجموعة من القبائل التركية استقرت في اقليم ما وراء النهر في أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الخامس الهجريين بعد أن أسلمت وحسن اسلامها، ثم انتقلت بعد سنوات قليلة إلى خراسان، وكونت جيشًا قويًا، تمكنت به من دخول مدينة نيسابور في سنة (٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م)، فأعلن زعيمها طغرل قيام دولة للسلاجقة، ونادى بنفسه سلطانًا على هذه الدولة الفتية. راجع: عبد النعيم محمد حسنين (دكتور): **إيران والعراق في العصر السلجوقي**، دار الكتاب المصري- القاهرة، دار الكتاب اللبناني - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص٢١.

(٦) قاسم غني: **تاريخ التصوف في الاسلام**، ص٦٩٥، ٦٩٦.

(٧) الجويني (علاء الدين عطا ملك محمد بن محمد ت.٦٨١هـ/ ١٢٨٢م): **تاريخ فاتح العالم "جهانكشاى" في تاريخ الخوارزميين والإسماعيلية الحشاشين وفتح مدينة بغداد على يد هولاكو**، ترجمة دكتور محمد التونجي، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.، ج١، ص١١٩.

(٨) **العرفاء أو العرفان**: تعنى الرؤية الدينية الخاصة للعالم، تلك الرؤية التي تعتبر إمكانية الاتصال المباشر والشخصي للإنسان بالله عن طريق ما يسمى اصطلاحًا بالشهود وكلمة عرفان أو ميستيك، أو مستيسزم، كلمة مشتقه من الكلمة اليونانية "MUOTLXOS" التي تعنى الباطن أو الخفي. (بطروشوفسكى: **الإسلام في ايران**، ترجمة السباعي محمد السباعي، دار الثقافة .د.ت، ص٢٨٦).

(٩) **الأمير وهسوذان**: ذكر هذا الأمير على إنه سيف الدولة أبو منصور وهسوذان بن محمد الروادى مولى أمير المؤمنين. ناصر خسرو أبو معين القبادياني المروزى العلوى ت.٤٨١هـ/ ١٠٨٢م): **سفر نامه**، ترجمة دكتور يحيى الخشاب، تصدير دكتور عبد الوهاب عزام، الهيئة المصرية العامة للكتاب١٩٩٣م، ص٤٨.

(١٠) محمد على تربيت: **دانشمندان آذربايجان**، تهران، ١٣١٤هـ، ص٦٣.

(١١) **الأتابك شمس الدين إيلدكز**: مؤسس أتابكية أذربيجان إبان القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي في ظل الدولة السلجوقية، كان من موالى السلطان مسعود السلجوقى، وبعد وفاته أصبح أتابكًا لأرسلان شاه بن طغرل الأول والحاكم الفعلي للدولة السلجوقية، كما أقام أسرة حاكمة في أذربيجان جعلت من أردبيل حاضرةً لها. راجع: أحمد عطية: **القاموس الإسلامي**، ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م، ج١، ص٢٢٧.

(١٢) محمد على تربيت، المرجع السابق، ص٥٩.

(١٣) **أقطاب**: جمع قطب وهو لقب يطلق على كل من دار عليه مقام من المقامات وانفرد به في زمانه على أبناء جنسه. انظر: رفيق العجم (دكتور): **موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي**، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م، ص٧٧.

(١٤) **قونية**: من أعظم مدن الإسلام بالروم. ياقوت: **معجم البلدان**، ج٤، ص٤١٥.

(١٥) محمد على تربيت، **دانشمندان آذربايجان**، ص٢٠٢-٢٠٥.

(١٦) **علاء الدولة السمناني**: هو العلامة الزاهد ركن الدين أحمد بن محمد بن أحمد الملقب بعلاء الدولة البيابانكى (٦٥٩-٧٣٦هـ) مولده في ذي الحجة عام تسع وخمسين وستمائة بسمنان، تفقه وشارك في الفضائل، وبرع في العلم، وداخل التتار واتصل بالقان أرغون، وتمرض زمانًا بمدينة تبريز. الذهبي (الحافظ شمس الدين أبو عبد الله ت. ٧٤٨هـ/١٣٤٩م): **سير أعلام النبلاء**، مؤسسة الرسالة- بيروت، الطبعة الحادية عشرة ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ج١٤، ص٤٤٨.

(١٧) محمد على تربيت: المرجع السابق، ص١١٦.

(١٨) رضا زاده شفق (دكتور): **تاريخ الأدب الفارسي**، ترجمة دكتور محمد موسى هنداوي، نشر دار الفكر العربي، ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧م، ص١٤٣، ١٤٤.

(١٩) ترجع نسبة الصفوي في أسماء سلاطين أسرة الصفويين التي تشكلت بهمة الشاه اسماعيل الصفوي سنة (٩٠٥هـ/ ١٥٠١م) من اسم جد ملوك هذه الأسرة وهو الشيخ صفى الدين أبو اسحاق الاردبيلى الذى ولد سنة (٦٥٠هـ/١٢٥٢م) وتوفي سنة (٧٣٥هـ/ ١٣٣٦م)، ودفن في أردبيل. راجع: عباس اقبال (دكتور): **تاريخ إيران بعد الإسلام من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية**، ترجمة دكتور محمد علاء الدين منصور، مراجعة دكتور السباعي محمد السباعي، دار الثقافة للنشر والتوزيع- القاهرة، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ص٦٣٩.

(٢٠) **جلد السمور**: نسبة الى حيوان السمور وهو حيوان ثديي ليلى من الفصيلة السمورية من آكلات اللحوم، ويتخذ من جلده فرو ثمين ويقطن شمالي آسيا. **المعجم الوسيط**، قام بإخراجه شعبان عبد العاطي عطيه، أحمد حامد حسين، جمال مراد حلمي وعبد العزيز النجار، مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الرابعة ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ص٤٤٨.

(٢١) تيماراتالبوت رايس: **السلاجقة تأريخهم وحضارتهم**، ترجمة لطفى الخورى، وإبراهيم الداقوقى، مراجعة عبد الحميد العلوجى، مطبعة الإرشاد- بغاد، ١٩٦٨م، ص١٥١.

(٢٢) الصفدي (صلاح الدين بن خليل بن أيبك ت. ٧٦٤هـ/١٣٦٢م): **أعيان العصر وأعوان النصر**، تحقيق دكتور على أبوزيد، دكتور نبيل أبو عمشه، ودكتور محمد موعد، دكتور محمود سالم محمد، قدم له مازن عبد القادر المبارك، دار الفكر المعاصر، بيروت- لبنان، دار الفكر، دمشق- سورية، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، ج٥، ص٤١٢، ٤١٣، ابن حجر العسقلاني: **الدرر الكامنة**، السفر الرابع، ص٣٤٤.

(٢٣) **الخرقة**: ثوب غليظ يلبسه المتصوفة زهدًا في الحياة. انظر: رجب عبد الجواد إبراهيم (دكتور): المعجم العربي لأسماء الملابس في ضوء المعاجم والنصوص الموثقة من الجاهلية حتى العصر الحديث، دار الآفاق العربية، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م. ص١٤٧، وتسمى أيضًا المرقعة وتكون من الصوف أو الشعر أو اللباد. راجع: محاسن حسين لبيب: **الأزياء في التصوير في العصرين السلجوقي والمغولي**،

رسالة دكتوراه، إشراف دكتور حسن الباشا، كلية الآداب – جامعة القاهرة، ص ٣٧٨؛ رينهارت دوزى: **المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب**، ترجمة دكتور أكرم فاضل، وزارة الأعلام– بغداد، د.ت.، ص٣٣، ٣٤.

(٢٤) محمد على تربيت: **دانشمندان آذربايجان**، ص ١٦٢، محمد جواد مشكور(دكتور): **تاريخ تبريز تابايان قرن نهم هجرى**، سلسة انتشارات انجمن آثارى ملى"٩٦"، تهران، تير ماه١٣٥٢هـ.ش.، ص٨٣٩.

(٢٥) ابن الفوطي (كمال الدين أبو الفضل ت. ٧٢٣هـ/ ١٣٢٤م): **مجمع الآداب في معجم الألقاب**، تحقيق محمد الكاظم، مؤسسة الطباعة والنشر، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران، الطبعة الأولى١٤١٦هـ.، مج٤، ص ٢٤٢.

(٢٦) ابن الفوطى: المصدر السابق، مج٣، ص١٢٣، ١٢٤.

(٢٧) محمد على تربيت: المرجع السابق، ص ٢٢٦، محمد جواد مشكور: المرجع السابق، ص ٨١٤.

(٢٨) ابن الفوطى: المصدر السابق، مج١، ص٢٧٠.

(٢٩) **الفرجية**: ثوب واسع فضفاض طويل الأكمامُ مفرّج من الأمام من أعلاه الى أسفله ومزرر بالأزرار، له كمان واسعان طويلان يتجاوزان قليلاً أطراف الأصابع وهذا الثوب يعمل من الجوخ عادةً. لمزيد من المعلومات عن الفرجية انظر: رجب عبد الجواد ابراهيم: المرجع السابق، ص ٣٥١، ٣٥٢؛ ومحاسن حسين لبيب: المرجع السابق، ص ٣٧٣، ٣٧٤. راجع: **المعجم الوجيز**، ص٤٦٥، رينهارت دوزى: المرجع السابق، ص١٦٧– ١٦٩.

(٣٠) محمد جواد مشكور: المرجع السابق، ص ٧٧١، ٧٧٢، **الخلعة**: هي ما يخلعه الخليفة أو الأمير أو الملك على أحد الناس من الثياب الفاخرة وفى الغالب يتألف هذا اللباس من جبة مطرزة وعمامة وطيلسان. راجع: رجب عبد الجواد ابراهيم: المرجع السابق، ص١٥٥، ١٥٦، والخلعة أيضًا تعنى ما تخلعه من الثياب ونحوها ويقال خلع عليه خلعة أي اعطاه او ألبسه اياها. انظر: **المعجم الوجيز**، طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م، ص٢٠٨.

(٣١) ابن حجر العسقلانى: **الدرر الكامنة**، السفر الرابع، ص٣٤٤، محمد جواد مشكور: **تاريخ تبريز**، ٨٥٧.

(٣٢) رينهارت دوزى: **المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب**، ص٢٤، ٢٥.

(٣٣) **معين الدين البروانه**: هو الوزير الكبير الصاحب معين الدين سليمان ابن الوزير مهذب الدين على العجمي (ت. ٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م) سكن والده الروم يؤدب أولاد مستوفى الروم ثم أنه ناب عن المستوفى ثم ولى الاستيفاء بعده للسلطان علاء الدين كيكاوس ومن ثم آمره وولى الوزارة ثم وزر لغياث الدين وتوفى سنة (٦٤٢هـ/ ١٢٤٤م) فوزر بعده للسلطان غياث الدين ابنه معين الدين البرواناه، وتمكن زمن التتار وصانعهم. راجع: الذهبي: الحافظ شمس الدين أبو عبد الله ت. ٧٤٨هـ/١٣٤٩م: **سير أعلام النبلاء**، مؤسسة الرسالة- بيروت، الطبعة الحادية عشرة ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، والجزء (١٧) طبعة المكتبة التوفيقية (د.ت)، ج١٤، ص ٢٦١، ٢٦٢.

(٣٤) ابن بطوطة (شمس الدين أبى عبد الله محمد اللواتى ت. ٧٧٩هـ/ ١٣٨٠م): **رحلة ابن بطوطة المسماة "تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار"**، تقديم وتحقيق عبد الهادي التازي، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، سلسة التراث، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

(٣٥) الهمذاني (رشيد الدين بن فضل الله ت. ٧١٨هـ/ ١٣١٩م): **مكاتبات رشيدي لرشيد الدين فضل الله الهمذاني**، دراسة وترجمة ثريا محمد على، رسالة ماجستير، إشراف دكتور سعاد عبد الهادي قنديل، دكتور أحمد السعيد الخولي، كلية الآداب – جامعة عين شمس، ١٩٨١م. ص ٢٦٥- ٢٧٢.

(٣٦) الترمذي (محمد بن عيسى بن سورة ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م): **سنن الترمذي** وهو الجامع الصحيح، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ج٢، ٢٧٢، ٢٧٣.

(٣٧) **صفى الدين**: هو جد الصفويين في بلاد فارس، وقد ولد صفى الدين في أردبيل سنة ٦٥٠هـ/ ١٢٥٢م، وهو ابن خواجه كمال الدين عربشاه من زوجته دولتى، وقيل إنه السبط الخامس والعشرون لموسى الكاظم، وقيل إنه الإمام السابع، وكان الخامس من سبعة أولاد، وتوفى والده وهو فى السادسة من عمره. (دائرة المعارف الإسلامية، أصدرها باللغة العربية أحمد الشنتناوي، إبراهيم زكى خورشيد، عبد الحميد يونس، مراجعة دكتور محمد مهدى علام، القاهرة ١٩٣٣م، مادة صفي الدين، ج١٤، ص٢٣٦، ٢٣٨).

(٣٨) عزيز دولت آبادى: **سخنوران آذربايجان**، منشورات مؤسسة تاريخ وفرهنك ايران، ١٣٥٥هـ.ش.، ص ٤١-٥٥ .

(٣٩) دائرة المعارف الإسلامية، مادة صفى الدين، ج١٤، ص٢٣٦- ٢٣٨.

(٤٠) فيليب حتى: **خمسة آلاف سنة من تاريخ الشرق الأدنى**، ١٩٦٠م، ج١، ص٣٥١.

(٤١) **أبواب البر**: أهم المؤسسات الخيرية التي أقامها غازان خان، وكانت تشتمل على قبر للسلطان تعلوه قبه عالية، ومسجد جامع ومدارس للشافعية والحنفية، وخانقاه ودار للسيادة ومرصد ودار الشفاء ودار الكتب ودار القضاء وبيت المتولي ودورة المياه وحمام السبيل، كما كانت تشتمل على العديد من ملحقات وتوابع أبواب البر كنفقات العيدين للأيتام والمستحقين وللإشراف على تربية الأطفال اللقطاء وغير ذلك من أوجه الخير. **جامع التواريخ، تاريخ غازان خان**، ترجمة ودارسة دكتور فؤاد عبد الصياد، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ص٢٤٣-٢٥٢.

(٤٢) رشيد الدين الهمذاني: المصدر السابق، ص٢٤٥؛ أمير حسين جهانبگلو: **تاريخ اجتماعي دوره مغول**، مشتمل بخش سوم از تاريخ غازان خان ومقدمة جامع التواريخ وزندكانى رشيد الدين فضل الله بقلم خودش، ١٣٣٦هـ، ص٤٤.

(٤٣) ابن بطوطة: **الرحلة**، ج٢، ص٧٦.

(٤٤) قاسم غني: **تاريخ التصوف في الإسلام**، ص٧٠٠، ٧٠١.

(٤٥) محمد على تربيت: المرجع السابق، ص٥٨، ٥٩؛ محمد جواد مشكور: تاريخ تبريز، ص٧٧٠-٧٧٢.

(٤٦) بطروشوفسكى: **الإسلام في إيران**، ترجمة د. السباعي محمد السباعي، دار الثقافة، د.ت، ص٣١٨.

(٤٧) البرزالى (علم الدين أبو محمد القاسم بن محمد ت. ٧٣٩هـ/ ١٣٣٨م): **الوفيات**، ضبط النص وعلق عليه أبو يحيى عبد الله الكندري، غراس للنشر والتوزيع- الكويت، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ص٣٥١.

(٤٨) ابن الفوطي: **مجمع الآداب**، مج٢، ص٣٢٥، ٣٢٦.

(٤٩) **العبر في خبر من غبر**، تحقيق ابو هاجر محمد بسيوني، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.، ج٣، ص٢١٠، ٢١١.

(٥٠) حافظ حسين كربلائى: **روضات الجنان وجنات الجنان**، تهران، ١٣٤٤هـ، ج١، ص٤٢٠.